

مركز نورس للدراسات

NORS FOR STUDIES

مركو نورس للدراسات يقدم ترجمة لبحث:

إيران وسورية في تقاطع سقوط قطب طهران- دمشق

الذي نشره مركز ويلسون للدراسات في شهر آب 2013

"سلسلة المقاومة ضد إسرائيل من قبل كل من إيران، سورية، حزب الله، الحكومة العراقية وحماس تعبر من خلال الطريق السوري... سورية هي الخاتم الذهبي لسلسلة المقاومة ضد اسرائيل". علي أكبر ولايتي، المستشار الرئيسي للمرشد الأعلى لإيران.

"ما يحصل في سورية ليس قضية داخلية، ولكن هي حرب بين محور المقاومة وخصومها والعالم أجمع. لن تتحمل إيران إنكسار في محور المقاومة، حيث سورية هي جزء جذري منه". سعيد جلالي.

لا شك أن من أهم التطورات في سياسة الشرق الاوسط الحديث هي ظهور واستمرار الاتحاد الإيراني– السوري منذ إنشائه عام 1979. عموماً، هناك ثلاثة أسباب مهمة من أجل دراسة وفهم محور طهران–دمشق:

أولاً: هذا الاتحاد كان لديه تأثير كبير على سياسة الشرق الأوسط خلال العقود الثلاثة التي مضت. كما رأينا مجدداً في حرب لبنان عام 2006 التي واجهت إسرائيل بحزب الله المدعوم من سورية وإيران، ودعم إيران لنظام بشار الأسد منذ إندلاع الأزمة السوريه عام 2011.

ثانياً: قد أثبتت هذه العلاقة مدى استمراريتها حيث دامت 34 سنة رغم كثر التحديات التي واجهتها وهذا أمر هائل ولا يستهان به إذا أخذنا بعين الاعتبار حساسيته وعدم ثبات السياسة في الشرق الأوسط.

ثالثاً: هذا الاتحاد لديه أهمية ضخمة بما أن كلتا الدولتين متواجدتين في أماكن ذات أهمية كبيرة في الشرق الأوسط، ويؤيد هذا الأمر أيضاً الجغرافية السياسية في المنطقة.

ناقش باتريك سيل في كتابه "النزاع من أجل سورية" أن على الذين يطمحون أن يكون لهم زمام الأمور في الشرق الأوسط، استجلاب سورية. بحسب ما قال " من يسيطر على سورية أو يتمتع بتحالف معها، يستطيع أن يعزل الدول العربية الأخرى ولا يحتاج أن يركع لأي اتحاد للدول العربية الأخرى". لذلك قد تعتبر إيران أن سورية هي الهدية الاستراتيجية في

منطقة جنوب–غرب آسيا وفي الخليج الفارسي. موقف إيران الحاسم يظهر بصورة حادة في كتاب غراهام فولر "وسط الكون".

منذ العقود الثلاثة الماضية، كان للشريكين نجاحات محسوسة في إزعاج خطط عمل دولة العراق، وإسرائيل، والولايات المتحدة في الشرق الأوسط عبر تعاونهما المستمر، فقد لعبا دوراً أساسياً في استدراج العراق لإحتلال إيران في عام 1980 وبالتالي ضمنا أن عراق صدام حسين لن يصبح القوة المسيطرة في الشرق الأوسط. أيضاً استطاعا تعطيل استراتيجية تل أبيب في جعل لبنان ضمن مدارها، بعد احتلال إسرائيل لما يقارب نصف البلد سنة يونيو 1982. فعبر استخدام وكلاء لبنانين –خصوصاً حزب الله–؛ سورية و إيران استطاعتا أن تكشفا حدود القوة العسكرية لدى اسرائيل، وبذلك ألزمتا تل أبيب بالإنسحاب من الأراضي التي قد كانت استولت عليها ما بين 1984 و2000. تزامناً وفي نفس الساحة استطاعتا أن تكبدا رونالد ريغان وهو في عهده كرئيس إحدى نكساته السياسية الخارجية المعدودة في الثمانينات من القرن الماضي. حتى بعد زمن الحرب الباردة، ومع تغلب أمريكا على مستوى المسرح العالمي وعلى مستوى المنطقة ومع فرض عقوبات مالية على كلتا الدولتين، فقد استطاعتا، سورية وإيران، أن تفرضا سلطتهما بقوة في الشرق الأوسط، وخصوصاً في العراق ولبنان وفي مناطق أخرى في الإقليم.

أيضاً، علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أن كلتا الدولتين سورية البعثية وإيران الإسلامية كانتا مستقلتين تماماً وأن نظرتهما إلى الأمور الدنيوية مشتركة عند النخب السياسية. وأن أيديولوجياتهم العلمانية والمتعصبة تتداخل في بعض الأمور. حيث حاولت إيران أن تستخدم نسختها من الإسلام الثوري لنشر التعصب، ولخلق اتحاد في المنطقة بزرع وإثارة الخلافات بين العرب والإيرانيين وبين السنة والشيعة عن طريق الاختلافات الدينية وأن تتظاهر بتضامنها عن طريق الاشتراك الفعلي في الصراع بين العرب واليهود. سورية سعت بتدارك التشتت السياسي في العالم العربي ببذل طاقتها للسعي لتوحيد العرب. كما أن حافظ الأسد والخامنئي ومن بعدهم نظرا إلى الشرق الأوسط بنظرة استراتيجية واعتبرا إتحادهما كمكون

أساسي لفرض أنفسهما في الإقليم. ولتطوير ما يريانه كمصلحة للعرب والإسلام ولتوسيع حريتهما التحركية فإن عليهما إضعاف هيمنة القوى الخارجية -وخاصة هيمنة أمريكا- في المنطقة. نتيجة لذلك ولتطوير مصالح الدولتين المشتركة على مدى السنين والعقود فإن كلتا الدولتين تفضلان المصالح ذات المدى البعيد على المصالح القريبة العاجلة.

بالنسبة للربيع العربي عندما بدأت المظاهرات المشهورة في تونس في شتاء 2010-2011 ومن ثم انتشرت في الدول العربية المجاورة، أعلنت آنذاك طهران مناصرتها للمتظاهرين اللذين تحدوا الحكومات الموالية للغرب. صورت إيران المعارضات العربية بضوء إسلامي أو على أنها إسلامية، وأعلنت القيادة الإيرانية أن الربيع العربي تبشر بعصر سيكون فيه وحدة إسلامية في الشرق الأوسط وشمال إفريقية. حيث أن الحكومات المستبدة ستبدل بحكومات إسلامية. من جهة نظر طهران فإن المد الشعبي أخيراً قد انقلب على الغرب وحلفاؤه في المنطقة. التاريخ على ما يبدو الآن يفضل إيران وأنصارها.

ولكن كل هذا تغير عند اندلاع المظاهرات في سورية حيث أن ذلك فاجأ إيران ووضعها في موطن ذا حرج شديد. واجهت طهران خيارين غير محبذين لأنها إن اختارت أن تقف مع أعز وأقدم حليف عربي فإن ذلك سيؤدي إلى اتهامها بالنفاق وتقديم مصالحها على الشعب من قبل أكثر العرب في العالم الإسلامي. أما اذا اختارت موقف الحياد وامتنعت عن تأييد النظام الأسدي، فإنه لا ضمان اذا استلمت حكومة جديدة البلد، أنها ستحافظ على علاقاتها السابقة مع حكومة طهران. قال أحد المسؤولين في الحكومة الإيرانية عندما كان يتحدث عن الربيع العربي من جهة التنافس بين إيران وامريكا على المنطقة: "البحرين عرقلت الأمريكان بينما سورية عرقلتنا". هذا القرار (في الوقوف مع النظام الأسدي) لم يقتصر على تشويه سمعة إيران فحسب بل أيضاً شوه سمعة حليفها اللبناني حزب الله الذي ساند النظام أيضاً. كذلك كان لهذا القرار آثار بليغة في زيادة قوة إيران وسطوتها في الإقليم حيث أن الأزمة ازدادت سوء في السنتين التي تلتها، ففي عام 2013 بدأ ظهور مسار الحرب الطائفية بازدياد بين طوائف السنة والشيعة في الشرق الأوسط. حيث أن العالم السني البارز الشيخ

يوسف القرضاوي ناشد جميع أهل السنة للإنضمام لصفوف المعارضة ليقاتلوا ضد الشيعة الإيرانيين وحزب الله، حيث وصفهم بـ"حزب الشيطان" وآخرون وصفوا الشيعة بأنهم أكثر خطراً على العالم الاسلامي من إسرائيل. مما أدى إلى انخفاض كبير لشعبية إيران وحزب الله في العالم الاسلامي حيث أن شعبيتها كانت قد وصلت إلى ذروتها بعد حرب لبنان مع إسرائيل عام 2006. وكان السبب الرئيسي لذلك هو إصرارهم على قمع الثورة السورية. ثم أن العلاقة بين إيران وحماس أصبحت متأزمة في شتاء عام 2011-2012 عندما ترك قائد الحركة الفلسطينية الإسلامية -خالد مشعل- دمشق وأعلن بأنه يؤيد المقاومة السورية.

طهران مبدئياً كانت تأمل أنه بمساندتها للنظام البعثي فإن دمشق ستنتصر على المعارضة في فترة قصيرة، لذلك ساندت إيران النظام الأسدي بثبات حيث أنها أمدّت القوات الأمنية الأسدية بدعم تقني كما أمدتها بخبراتها في كيفية قمع المعارضة. ومن ذلك إمدادهم بنصائح وأجهزة للقوات الأمنية لمساعدتهم على كسر شوكة المعارضة وقمع المظاهرات. أيضاً أمدوا النظام بإرشادات تقنية لكيفية مراقبة وتحديد استخدام الشبكة العنكبوتية وشبكات الاتصالات التي تستخدم من قبل المعارضة السورية. حيث كان للأفرع الأمنية الإيرانية خبرات كثيرة في أسلوب قمع المظاهرات حيث كانوا قد تعلموا دروساً ذات أهمية كبيرة عندما قامت المظاهرات في إيران ضد الرئيس أحمدي نجاد، فاستخدمت الأفرع الأمنية أساليب عنيفة لقمع المظاهرات آنذاك. في نفس الوقت وطبقاً لبعض التقارير، فقد استنكرت الحكومة الإيرانية أساليب النظام السوري الأخرق والعنيف لقمع المظاهرات في بدايتها. ولكن عندما تحولت الثورة السورية إلى تمرد مسلح أرسلت إيران مختصين في الأمور العسكرية ووحدات من الفروع الأمنية الإيرانية وقوات الحرس الثوري الإسلامية وشرطة ومخابرات لكي يعينوا النظام الأسدي على قمع وتحطيم المقاومة المسلحة من الجيش السوري الحر والقوات الأجنبية السنية الإسلامية ولكن أعداد المبعوثين من إيران كانت قليلة لم تتجاوز المئات (في العامين التي تلتها) وليس بالآلاف كما زعم الإعلام المعارض للنظام.

في صيف عام 2011 عندما طالت الحرب في سورية وتحولت إلى حرب بلا نهاية واضحة، بدأت السلطة الإيرانية في القلق من أن يسجل موقفهم من الثورة ضدهم في التاريخ وكانت تساورهم الظنون بالنسبة لحكمة سياستهم ولكي لا تخسر طهران، فقد تواصلت مع بعض المجموعات من المعارضة السورية (الذين كانوا إسلاميين أو ممن لم يدعوا إلى إسقاط النظام) ليختبروا مواقفهم فيما يختص بأمور متعددة تتعلق بإيران وإسرائيل ولبنان والولايات المتحدة، ولكن لم يبد أن أي شيء يذكر نتج عن المبادرة أو عن غيرها.

مع تواصل الأزمة السورية في خريف وشتاء عام 2011 بدأت الحرب باتخاذ منعطف إقليمي وعالمي. فبدأ ظهور حرب الوكلاء حيث تدخلت دول من الاقليم وخارجها فتركيا والسعودية ودول خليجية أخرى بدأت بتزويد المعارضة السورية بمواد ودعم مالي. من أجل ذلك شعرت إيران وكل من حزب الله وإلى حد ما العراق بالاضطرار والاندفاع لنصرة نظام الأسد. رأت طهران أن الأزمة السورية قد أعطت خصومهم فرصة ذهبية لمنعها من أثمن حليف لها في الإقليم وقد تضعف قوتها وتأثيرها في الشرق الأوسط. أما على مستوى العالم فقد اصطفّت الولايات المتحدة والاتحاد الأوربي مع بعضهم البعض كي يضغطوا على دمشق و يعزلوها. مضت موسكو التي عرفت بأنها الممول الرئيسي بالأسلحة لنظام الأسد في تمويل دمشق بالأسلحة باستمرار. وفي مؤتمر لمجلس الأمن الدولي أفشلت روسيا والصين الاجتهادات الغربية لعقاب سورية باستمرار وأوقفوا أي حركة قد تتخذ كذريعة لتدخل خارجي عسكري لنصرة المعارضة السورية (كلا من موسكو وبكين كانتا حريصتين على ألا تقعا في ذات الخطأ الذي وقعتا فيه في ليبيا عام 2011 عندما صوتتا لمصلحة قرار مجلس الأمن رقم 1973). شعرت إيران وحلفاؤها بازدياد أنه ليس لها مربح في مآل الأزمة السورية فخافت أن خلع النظام السوري البعثي سيمهد الطريق لظهور نظام جديد في دمشق حيث سيعادي طهران وبالتالي اتخذت القيادة الإيرانية قراراً استراتيجياً لنصرة النظام الأسدي بكل ثقلها حيث دعموه بالأسلحة والنفط والمال.

وفي عام 2012 عينت الأمم المتحدة والجامعة العربية كوفي عنان ثم الذي خلفه الأخضر الإبراهيمي كمبعوث خاص ليكون وسيطاً لإيجاد حل للحرب في سورية فرحبت إيران بهذه المبادرة حينئذ. على العموم طهران حريصة على أن تكون ضمن أي مبادرة متعددة الأطراف لإنهاء الأزمة الحالية وليكون لها دور في توجيه مستقبل سورية السياسي لكن يبدو أن الولايات المتحدة وحلفاءها حريصون على استبعاد إيران من أي تسوية تفاوضية. رغبت إيران بإيجاد حوار سياسي وأن يكون هناك حل دبلوماسي قد ازداد خلال السنة الماضية 2012 إلى أن دخلت الحرب في سنة 2013. رغم أنه في الوقت الحالي لا يبدو أن النظام ولا المعارضة السورية لهم القدرة على تنفيذ الضربة القاضية فإن بشار يفقد سيطرته على كثير من البلد، فمساحات واسعة من الأرض في شمال وشرق البلد أصبحت في يد المعارضة المسلحة ويدخل ضمن ذلك مناطق الأكراد السوريون والمليشيات الأجنبية المهاجرين. تعتقد إيران أن الوقت قد لا يكون في صالح النظام السوري فتبحث عن خيارات لتخفف من خسارتها ولتضمن أنه مهما كان الناتج في سورية، ألا تستلم حكومة جديدة تكون معادية لإيران. ففي الخريف المنصرم طرحت إيران خطة للسلام وإنهاء الأزمة ولها بنود هي: الوقف الفوري لأي اعتداءات، ورفع العقوبات المفروضة، وإخراج المعتقلين السياسيين، وإنشاء حوار وطني، وتشكيل حكومة انتقالية، وتصويت لبرلمان وجمعية تأسيسية ورئاسية. هذه المبادرة رفضت على الفور من قبل المعارضة السورية لأنها لم تحقق أهم مطالبهم وهي إزاحة بشار الأسد من الحكم. وفي فبراير أجرى وزير الخارجية الإيراني علي أكبر صالحي محادثات مع مسؤول الائتلاف السوري معاذ الخطيب في المؤتمر الأمني العالمي في ميونخ – ألمانيا ليناقشوا حلاً سياسياً للأزمة السورية. في نفس الوقت استمرت إيران بتزويد النظام الأسدي بإعانة عسكرية لتقوية النظام السوري حيث سيؤدي ذلك إلى تقوية موقفه التفاوضي في حال جرى حوار خاص مع المعارضة السورية. طهران تنبأت أنه في حال فشل المعارضة بإسقاط خصومها قد تنتج حكومة انتقالية تحافظ على بعض مبادئ النظام المخلوع.

علينا أن نأكد أنه مع مرور الوقت، ترى طهران عدة ميزات للتسوية التفاوضية من أجل حل الأزمة السورية:

أولاً: لأنها لاحظت أنه ليس من الممكن الرجوع إلى الوضع السياسي السابق الذي كان قبل مارس/اذار 2011. فلذلك تهدف إيران إلى تقليل الضرر والخروج من الأزمة وحفظ ماء وجهها إن تيسر ذلك.

ثانياً: إيران قلقة أنه لو طالت الحرب فإنه سيكون لذلك أثر تدريجي على زعزعة استقرار دولتي لبنان والعراق. وقد يكون الناتج من ذلك إضعاف مواقف حزب الله في لبنان وحكومة المالكي في العراق.

ثالثاً: مع ازدياد انزواءها في الإقليم ودولياً فيما يخص موقفها في سورية ومن أجل فرض الدول الغربية عقوبات مالية عليها وذلك بسبب مشروعها النووي، فلذلك تهدف إيران إلى أن تظهر أهميتها كلاعب أساسي في المساهمة للحصول على السلام في سورية.

رابعاً: إيران قلقة جدا من أجل ازدياد الاستقطاب الطائفي وإمكانية تحول الحرب إلى حرب إقليمية بين السنة والشيعة. وهذا سيضر اجتهادات إيران في نشر أيديولوجيتها الثورية الرامية إلى الحصول على اتحاد إسلامي.

خامساً: تعلم طهران أنها لا تستطيع أن تدعم نظام الأسد مادياً إلى ما لا نهاية بسبب مشاكلها الاقتصادية والعقوبات المالية المفروضة عليها دولياً. عائدات النفط الإيرانية قد قلّت بشكل كبير واقتصادها بدأ يضعف لأول مرة منذ حرب إيران مع العراق في الثمانينيات.

سادساً: إيران قد تتيح لظهور حكومة وحدة وطنية في دمشق حتى لو لم تكن حليفا لإيران، ولكن على الأقل غير معادية لإيران.

في حال أن حرب الاستنزاف الجارية أدت إلى خلع الأسد، فقد بدأت إيران بتأسيس مليشيات في سورية عرفت بالجيش الشعبي. يضم هذا الجيش موالين للنظام الاسدي، علويين، وجماعات أخرى، لكي تضمن أن النظام الجديد لا يستطيع فرض سيطرته على سورية

وبذلك يصبح النظام الجديد معرقل عاجز عن التقدم. بحسب بعض التقارير، المقصد هو بناء قوة لا يقل تعدادها عن 50,000 مقاتل، حتى يصل العدد إلى 100,000 عنصر. فإيران تريد أن يكون لديها وكيل مسلح قادر على البقاء في مرحلة ما بعد الأسد في سورية. باختصار، تهدف طهران في حال عدم بقاء سورية كحليف لها في الشرق الأوسط، على الأقل أن تمنع الآخرين من استخدام سورية ضد إيران من أجل الصراع على السلطة في الإقليم.

بوضوح، الأزمة الحالية هي أكبر تحدي واجهته إيران في فترة حلفها مع سورية الذي استمر لمدة 34 سنة. ففي حال أن الحكومة الأسدية أطيحت ستجد إيران تراجعا كبيراً. في الحقيقة سيكون ذلك أكبر هزيمة لنظام رجال الدين في إيران منذ عام 1988 عندما أجبرت على إنهاء الحرب مع العراق والرضوخ للسلم. إجمالاً، من الممكن مناقشة أنه في حال وقوع هذا الحدث (الإطاحة بالنظام الأسدي) سيكون ذلك أكبر خسارة للجمهورية الإسلامية على مستوى الإقليم منذ نشأتها عام 1979. وأيضاً ستكون ضربة ساحقة خصوصاً بالنسبة لأهداف ايدلوجيتها وسياستها الخارجية. سورية كانت هي الوحيدة الجريئة في العالم العربي في مناصرتها لإيران. إضافة إلى ذلك كانت سورية من أهم طرق الإمداد لمرور الأسلحة والعتاد إلى أن تصل إلى حزب الله اللبناني. فمنذ انتهاء حرب لبنان عام 2006، أعادت دمشق وطهران قوة حزب الله حيث أنها أصبحت قوة هائلة تمتلك ما يقارب 40,000 صاروخاً. حيث أن سقوط نظام الأسد قد يغير الحالة الإقليمية فجأة. ليس فحسب أن إيران ستخسر حليفها العربي المهم، بل أيضاً قدرتها على دعم حزب الله وتأثيرها على الوضع في لبنان وتأثيرها على الساحة العربية-الإسرائيلية ستتقلص بشكل كبير. إضافة لأهمية تقديم أيديولوجية ومصالح إيران السياسية الخارجية في الشرق الأوسط، أصبح حزب الله لاعباً أساسياً للحفاظ على الأمن الوطني الإيراني في السنين القريبة منذ ظهور النزاع على مشروع إيران النووي. بحسب التفكير الإيراني الاستراتيجي. إمكانية حزب الله للرد على إسرائيل تعمل كرادع للولايات المتحدة والجيش الإسرائيلي على فعل أي عمل ضد إيران.

رغم أن استراتيجية مساندة النظام الأسدي تهدف جزئياً للمحافظة على قدرة إيران لاستعراض قوتها وتأثيرها في الشرق الأوسط، الاستراتيجية لديها مكونات دفاعية أساسية. ففي السنين الماضية، ازدادت التوترات في العراق بشكل كبير. والمواجهات بين حكومة نوري المالكي في بغداد التي تتكون في الغالب من الشيعة وبين المعارضة السنية. حيث أن مجموعات سنية متشددة قاموا بفعل عمليات جريئة ضد مدنيي العراق وآثار للحكومة العراقية. أيضاً بنجاح المعارضة السنية بالسيطرة على أراضي في الشرق على حدود العراق وبازدياد تعاونهم مع المتمردين السنيين العراقيين قد ساهمت بنمو عدم الاستقرار في العراق. فهذا أيضاً قد جعل صناع السياسة يقلقون. فأفضل مثال على ذلك هو إعلان التحالف بين القاعدة في العراق وجبهة النصرة في سورية. بالتالي هناك الآن خوف حقيقي في طهران أنه إذا سقط النظام الأسدي فقد يمتد أثره للعراق. وقد يكون الناتج عن ذلك زعزعة كبيرة وربما انقلاب على الحكومة الحالية في بغداد وظهور نظام يكون أغلبه مكون من السنة. ولن تقبل إيران هذا الإحتمال. هناك سيناريو بديل وهو أن الحرب في سورية قد تهيج السنة في العراق للرغبة بالانفصال عن مناطق الشيعة وقد يؤدي ذلك إلى تقسيم البلد إلى ثلاثة مناطق، قسم للشيعة وقسم للسنة وقسم للأكراد. سوف يكون لهذه النتيجة آثار أمنية لإيران وقد ينتج عن ذلك مشاكل داخلية ضخمة، وخاصة في المناطق المسكونة من قبل العرب والأكراد في البلد التي تجاور العراق.

علينا أن نؤكد أن قراءة إيران للوضع في سورية قد يؤثر في تطوراتها الداخلية وفي علاقاتها مع الغرب. منذ المظاهرات التي تلت الانتخابات الرئاسية المشكوك في صحة نتائجها عام 2009. وبقرار الولايات المتحدة وحلفاؤها الأوربيين ابتداء من عام 2010 لفرض عقوبات قاسية على إيران. وكان الناتج عن ذلك هو إحساس النخب الحاكمة بالحصار المعنوي والخوف المرضي. أي معارضة داخلية أو تحركات أجنبية التي قد ترى أنها تهدد بقاءهم سواء كانت بشكل مباشر أو غير مباشر قد تأول بأنها استراتيجية أو مؤامرة لإسقاط نظامهم. الفشل في حل الخلافات المتعلقة بمشروع إيران النووي بطرق دبلوماسية– مؤخراً أثناء جولتان من المفاوضات في الماتي وكازاخستان– والفرض المستمر للعقوبات من قبل

الغرب قد أدى ذلك إلى ترسيخ الفكرة عند طهران أن هدف واشنطن الحقيقي هو تغيير النظام الحاكم في إيران.

القيادة الإيرانية لديها شكوك كبيرة أنه مهما فعلت لتخفيف المخاوف الناشئة بسبب مشروعها النووي فلن يرفع الغرب عقوباته المفروضة على إيران بشكل كامل ما دامت الجمهورية الإسلامية متواجدة. وبالتالي فإن السياسات المتبعة من قبل الولايات المتحدة وحلفاؤها في أوروبا وفي الشرق الأوسط بالنسبة للأزمة السورية قد فسرت على أنها ضمن خطة واسعة لخلع "محور المقاومة" في الشرق الأوسط بإسقاط نظامي دمشق وطهران. لذلك فإن الأفعال الغربية لتأثيم وإقصاء إيران قد رسخت التصور بين واضعي السياسات في طهران أن عليهم اتخاذ موقف. فإيران ترى أن سورية هي خطها الدفاعي الأول ضد الجهود المدبرة من قبل أعدائها في الإقليم وخارجه، ولكن ليس فقط من أجل تغير الحكم في دمشق وإنهاء تحالف دمشق مع إيران فحسب، ولكن هي ضمن خطة طويلة الأمد لإقصاء ثم إسقاط الجمهورية الإسلامية.

في الحاضر تخشى طهران ظهور هلال مؤيد للغرب يمتد من تركيا لسورية، الأردن، السعودية والإمارات. السيناريو الكابوسي بالنسبة لإيران هو أن يبدل النظام السوري البعثي بنظام سني متطرف ضد إيران والشيعة ويحالف عدو إيران الأكبر في المنطقة المتمثل بالسعودية. ولكن "أم الكوابيس" لإيران هو أن يطاح النظامين المتواجدين في دمشق وبغداد ويبدلان بأنظمة معادية لطهران. حتى الآن إيران بذلت ما في وسعها لتضمن أن لا يطاح ببشار الأسد وذلك بالإسراف في تزويده بالرجال والمواد والأموال لتقوية منصبه. بالرغم من جهودها الضخمة وإنفاق مليارات الدولارات لمساندة النظام السوري فإن النتيجة ما زالت غير واضحة. في الحقيقة القائد الأعلى لإيران آية الله علي خامنئي وعدد من سياسيين وأعضاء في البرلمان صرحوا بالخيبة عن النتائج الماضية.

باختصار، إلى الآن لم يحقق الربيع العربي أي مكاسب تذكر لصالح إيران. ففي حين إحراز بعض التقدم في العلاقات بين طهران والحكومات الجديدة في القاهرة وطرابلس وتونس، لا

زالت التسوية، خصوصاً مع مصر أمر بعيد. وهذا قد ينسب جزئياً لعدم الاستقرار السياسي المستمر في مصر وأيضاً بسبب وقوف إيران ومصر في اتجاه معاكس من الصراع السوري. مواقفهم المتناقضة عطلت عملية التصالح السياسي وأبرزت الإنفصال بين السنة والشيعة. إضافة إلى أن طهران وحلفائها في المنطقة قد فقدوا كثيراً من رأس مالهم السياسي في العالم العربي والإسلامي لأجل دعمهم الثابت لنظام الأسد وقمعهم الوحشي للثورة. لا شك أن التحالف بين إيران وسورية الآن على مفترق حاسم وأيامها ربما معدودة. مهما كانت النتيجة هناك أمر واحد واضح، العلاقة لا يمكنها أن تعود إلى ما كانت عليه قبل 2011.

